ظاهرتا الفقر والحرمان وأثرهما في حياة وشاعرية التجاني يوسف بشير

الدكتور بركات محمد احمد محمد۞

۞ أستاذ الأدب والنقد، المشارك بكلية التربية-جامعة القران الكريم وتأصيل العلوم

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مستخلص البحث

هذا البحث يتناول ظاهرتين اجتماعيتين خطيرتين، عانى منهما المجتمع السوداني إبان فترة الاستعمار وما بعده من الحقب اللاحقة ويهدف هذا البحث إلى معرفة طبيعة الفقر والحرمان عند التجاني يوسف البشير، وأثرهما على حياته وشاعريته، ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث : حياة التجاني المضطربة القلقة تمثل نموذجاً حياً للمجتمع السوداني في عشرينات القرن المنصرم شاعرنا لم يفصل من المعهد وإنَّما تركه من تلقاء نفسه، وهذا خلافُ ما ذكره كثير من الكتاب أمثال هنري رياض، بدرالدين هاشم أبوالقاسم.و يرهما . اتهام شاعرنا بالكفر والإلحاد ليس عليه دليل، ومسألة التكفير ليست من الأمور السهلة، وهنالك أسباب وموانع للكفر فهل يعي هؤلاء المتعجلون ذلك؟ قصيدة الخَلوة تمثل سجلاً تاريخياً لطريقة التعليم الديني في السودان ظاهرتا الفقر والحرمان لهما الأثر الكبير في حياة التجاني وشاعريته، وهما ظاهرتان عامتان عانى التيجاني أنواعاً متعددة من الحرمان منها الحرمان المالي والثقافي والسفر إلى مصر موطن الثقافة والحرمان العاطفي من جانب المرأة أدب التجاني مادة خصبة في الجوانب المختلفة، إلا أن هناك بعض الجوانب يمكن أن يفرد لها الدراسة مثل التصوير الفني، والرومانسية، كالظواهر الدينية والاجتماعية والوطنية في شعره،والشك والعقيدة في شعره ظاهرتا الفقر والحرمان وأثرهما في حياة وشاعرية التجاني

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

Abstract

This research deals with two serious social phenomena which, Sudanese society suffered during the colonial period and beyond in the subsequent eras. This research aims to: Know the nature of poverty and deprivation in Tijani Yusuf al-Bashir, and their impact on his life and poetic. The researcher used the historical, descriptive, analytical, and inductive method .The most important findings of the research are: Tigani troubled life represents a living example of Sudanese society in the twenties of the last century. Our Poet did not dismissed from the institute, but he left it on his own, and this is contrary to what was said a lot of writers such as Henry Riad, Badr al-Din Hashim Abu al-Qasim .. and others. The Poet was accused of blasphemy and atheism , but that was not true and has no evidence, and the question of atonement is not an easy matter, and there are reasons for it and contraindications of blasphemy. Are those in hurry aware of that? Poem(alkhalwa), being alone, represent a historical record of how religious education in Sudan. The phenomena of poverty and deprivation have a significant impact on the live of Tigani and poetic, the two phenomena are plenary.

Tijani suffered multiple types of deprivation, including the financial and cultural deprivation and travel to Egypt, the home of culture. Emotional deprivation on the part of women. Tigani,s Literary work is fertile material in different aspects, but there are some aspects can be singled out the study, such as artistic depiction and romance, religious, social and national doubt and belief in his poetry.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد

البحث في الشعر والشعراء لا يزال أهم المباحث التي شغلت بال النقاد والأدباء في تاريخ الأدب العربي قديماً وحديثاً ، والسودان في العصر الحديث ليس بعيداً ولا بدعاً من ذلك وإن كان هنالك شاعر شغل المهتمين بالأدب السوداني على مدار سنوات القرن الماضي ،بل وحتى يومنا هذا ،فإنه سيكون الشاعر السوداني المجدد : التجاني يوسف بشير، الذي أصبح ديوانه الوحيد الذي أصدره مثاراً للدراسات والتمحيص والتأويل والتفسير عبر الأجيال فبالرغم من سني عمره القصيرة في هذه الدنيا إلا أنَّ قريحته أنتجت ديواناً حوى قصائد مختارةً، أُرِيَ لها أن تكون تاجاً للدواوين، واختار له اسم (إشراقة)

الشعرُ يعد مرآةً صادقةً لحياة الشعوب عبر تاريخها القديم ،ووثيقة تاريخية للأمم في حياتها الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والشاعر التجاني يوسف بشير كان شعره مرآةً صادقةً لحياة السودانيين في عشرينيات القرن الماضي الناضحة بالألم والمعاناة والفقر والحرمان

والباحث يحاول في هذه الدراسة أن يتناول ظاهرتين اجتماعيتين مثيرتين وه ما الفقر والحرمان عند شاعرٍ سوداني ثائرٍ هو التجاني يوسف البشير،وقد كانت لهذه الظاهرة بشقَّيها (الفقر، والحرمان) بصمةٌ واضحةٌ في حياته،وبرزتا بجلاء في شعره، فجاءت الدراسة بعنوان (ظاهرتا الفقر والحرمان وأثرهما في شعر التجاني يوسف البشير) .

أسباب اختيار البحث

لما كانت مكانة التجاني يوسف بشير متقدمةً ورفيعةً في الشعر السوداني ، وكانت حياته مثار اهتمامِ المختصين والمهتمين على حدٍّ سواء، كان ذلك سبباً دافعاً للباحث في اختياره للشاعر وتأثير ظاهرتي الفقر والحرمان في حياته وشعره.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أهمية البحث

يكتسب البحث أهميته بإبواز وتسليط الضوء عليظاهرتي الفقر والحرمان عند الشاعر التجاني يوسف البشير ، وأثرهما على حياته وشاعريته ، كما يكتسب أهميته من حديثه عن شاعر ترك بصمات واضحة في الأدب العربي عامة والسوداني خاصة ، ولما يتفرد به شعره من خصائص ومزايا؛ حيث يعدُّ أحد رواد التجديد في الأدب السوداني، كما يعدُّهذا البحث إضافة وتعميقاً للدراسات الأدبية في المكتبة العربية عامة والسودانية خاصة.

أهداف البحث

تتجلى أهداف البحث فيما يلي

1 - معرفة طبيعة الفقر والحرمان عند التجاني يوسف البشير، وأثرهما على حياته وشاعريته.

2 - التقصي عن حياة التجاني يوسف بشير ، وقراءة أعماله قراءة عميقة ، متأثرةً بأحداثٍ في حياته.

3 - استخلاص رؤية جديدة لعقلية الشعراء وعواطفهم المتأثرة بالجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تاريخ السودان الحديث،وعلى رأسهم التجاني يوسف بشير

مشكلة البحث

سيحاول الباحث من خلال هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

1 - هل للفقر والحرمان أثر على حياة الشاعر وشعره

2 - كيف تمثل حياة التجاني المضطربة القلقة نموذجاً حياً للمجتمع السوداني في العشرينيات من القرن الماضي

3 - ما طبيعة النظرة الفلسفية للفقر عند التجاني يوسف البشير وكيف تناولها شعراً

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث المنهجَ التاريخيَّ والمنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ. والمنهج الاستقرائي

الدراسات السابقة

لم أقف على دراسات سابقة تناولت عنوان هذه الدراسة، لكنَّ الدراسات السابقةَ التي تحدثت حول الشاعر والتي اتخذت من شعره منطلقاً للعديد من البحوث، والتي وقـ ت عليها، أذكر منها

1 -التجاني يوسف بشير، عصره وحياته وشعره، جاد الله الطاهر النذير، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، مكتبة السودان

2 -هنري رياض، التجاني يوسف بشير شاعراً وناثراً، دار الثقافة بيروت، بدون تاريخ.

3 -التجربة الشعرية في شعر التجاني يوسف بشير، رسالة ماجستير جامعة الخرطوم 1978م.

4 -محمد عبدالله سليمان الصديق، الصورة الفنية في شعر التجاني يوسف بشير (دراسة أدبية) جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية 2008م

5 -جاد الله الطاهر النذير ، التجاني يوسف بشير عصره وحياته وشعره، جامعة الخرطوم كلية الآداب.

أمّا هيكل البحث فقد اقتضت طبيعته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحياة السياسية والاجتماعية في عصر التجاني.

المبحـث الثاني: حياته وثقافته وعلاقته بالصحافة.

المبحث الثالث: ظاهرا الفقرو الحرمان عند التجاني يوسف البشير.

الخاتمة: وشملت على النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الأول

الحياة السياسية والاجتماعية في عصر التجاني

أولاً الحياة السياسة

بعد فشل ثورة اللواء الأبيض في عام 1924م سيطر على البلاد جوٌّ من الحزن والكآبة الموغلة، وبدأت فترة رهيبة في تاريخ الفكر السوداني ؛ فترة الإرهاب والقسوة والمطاردة، وبفظاظة قاسية سيق الشبابُ الثائرُ إلى السجون، وعومِلَ بوحشيةٍ، سقط أمامها البعض فريسة للأوبئة وأمراضِ الصدرِ والجنون، وطُورِد من نجا من السجن ، وحورب في رزقه وحديثه، فاضطر إلى الصمت أو مغادرة البلاد، وأصابهم اليأس والذهول، وقد كفر بعضهم بالشعب وفعالية الكفاح، وعكفوا على ذواتهم، وفي قلب هذا الرعب انتصبت أبراج المراقبة الاستعمارية[1].

كتب قليلاتي مقالاً ملتهباً تحدث فيه عما يلاقيه الناس من ضائقة العيش، وقد عنون مقالاً بهذا البيت من الشعر:

تموت الأسد في الغابات جوعاً ولحم الضأن تأكله الكلاب[2]

وكان يعني بهذه الحياة الناعمة التي يعيشها الإنجليز، وقد اشتهروا باقتناء الكلاب وتدليلها

"وكان في هذا وحده من معان الثورة والاستفزاز ما لم تطقه أعصاب الإنجليز فألقي القبض على الصحفي محرر الرائد واعتقل، ثم أبعد إلى مصر"[3].

هذا الاسكات والتكميم للأفواه أكبر دليل على الاضطهاد الذي عاناه المجتمع السوداني.

---

(1) محمد المكي إبراهيم، الفكر السوداني، أصوله وتطوره، إدارة النشر الثقافي، مصلحة الثقافي والإعلام، الخرطوم، ط/1 1976م، ص 28.

(2) أابوعبد الله محمد بن إدريس الشافعي الديوان ص 43

(3) حسن نجيلة ملامح من المجتمع السوداني الطبعة الرابعة الدار السودانية الجزء الثاني ص

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

"كذلك قرر الإنجليز حرمان البلاد من كل ألوان التعليم حرماناً امتد إلى عشر سنوات، فأغلقوا المدرسة الحربية حتى لا يتخرج ضابط جديد، ثم أغلقوا مدرسة الحلفاء التي تخرج مدرسي المدارس الأولية، كما أقروا أن لا يزداد عدد فصول المدارس على ما هو عليه"( )

ومن البديهي أن يحارب الاستعمار التعليم ويضيق عليه؛ وإلا كيف سيستمر.

ثانيًا الحياة الاجتماعية في عصر التجاني يوسف بشير

لم يعرف المجتمع السوداني تمزقاً اجتماعياً وثقافياً في تاريخه مثل هذا التمزق الذي عاناه في الربع الأول من القرن العشرين تحت أقدام المستعمر الإنجليزي، فقد كان المستعمر يقف في صف القبلية والطائفية ضد الطبقة المثقفة، وتعطيلاً لخططها الرامية لنشر الوعي بين الجماهير، وإعدادهم للتحول الحضاري، ونتيجة للصراعات انقسم المجتمع السوداني الى قسمين، قسم آثر الابتعاد عن الحضارة ويعتبرها مفسدة للأخلاق، فحارب كل نزعة للتطور، وقسم آخر رأى الأخذ بالحضارة في تحفظ، والاستفادة من محاسنها في تنظيم المجتمع على طريق سليم متحضر – يستطيع من خلاله أن يواجه عقبات التخلف التي تشل مقدرته على السير في ركاب التطور الحديث.( )

في اعتقادي المشكلة في سوء الفهم؛ فالتمسك بالأخلاق الإسلامية لا يتنافى مع الأخذ بأسباب الحضارة والتطور .

تجدر الإ شارة في هذا المقام إلى أنَّ الحياة كانت متواضعة في مسكنها وملبسها ،بل في كل متطلباتها، حتى إنَّ المواطن لا يكاد يحصل على ضروريات الحياة أما حال الصبيان فهي أقرب إلى الحياة البدوية، حيث اللعب في الليالي المقمرة،

---

(1) ضر 1ر صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ،الدار السودانية للكتب الطبعة الرابعة ص263

(2) بدر الدين هاشم ،التجربة الشعرية في شعر التجاني يوسف بشير .طبعة سنة 1987 الدار السودانية ، ص23

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والصيد في أطراف المدينة، أو على شواطئ النيل كأم درمان ومن ألعابهم بناء المنازل بالطين والرمل، والتباهي بها ثم يهدمونها، ثم يعيدون بناءها

كما كانت لهم عادات في الخلوة مع (الفكي) أي الفقيه الذي يعلمهم القرآن بطريقة فيها قسوةٌ مما يجعلهم ينفرون منه ولا يذهبون إليه إلاَّ قسراً، ولقد أشار شاعرنا إلى صور الصبا في الخلوة في شعره( ).

خلاصة القول: إنَّ الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية كانت مرتبطة ببعضها لتكون البيئة التي أثرت في حياة شاعرنا ونتاجه الأدبي

(1) ينظر التجاني يوسف بشير، إشراقة دار الجيل، ط 8، 1987م ص 66 67 1 بدر الدين هاشم ،التجربة الشعرية في شعر التجاني يوسف بشير .طبعة سنة 1987 الدار السودانية ، ص23

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثاني

حياته وثقافته وعلاقته بالصحافة

أولاً حياة الشاعر

وُلد التجاني يوسف بشير يوم الأربعاء غرة ربيع الأول سنة 1330ه الموافق: أول مارس سنة 1912م، واسمه المسجل عند والده: (أحمد التجاني) وله أخٌ أصغرُ منه اسمُهُ: محمد التجاني، مولده سنة 1332ه، واشتهر الأول باسم التجاني، وهو شاعرنا، والثاني محمد، ولعل تمسُّكَ والد الشاعر بالطريقة الصوفية التجانية جعلته يلقب اسم شيخه مؤسس الطريقة التجانية باسم اثنين من أولاده تيمُناً به[1].

❖ أسرتُهُ

تكونت هذه الأسرة إبَّانَ حياة شاعرنا من والده الشيخ يوسف البشير الذي كان يعمل في تلك الفترة صانعاً للأحذية الوطنية التي نسميها(بالمراكيب)بسوق أم درمان أما والدته فهي نور الشام بابكر محمد علي أحمد العجيلي من القرية العالياب بالمديرية الشمالية،أما إخوانه فهم:الزهراء وهي التي توفيت إبَّانَ النضج الفكري للتجاني، و د ذكرها في رثائه للطفل، في قصيدته(دمعةٌ على طفلٍ) التي منها

وَاِسَأل عَن الزَهراء إِن تَكُ واجِداً ... خَبَراً لَها بَينَ النَديّ الزاخر

(أُختي) وَأَوَل زَهرة زانَت بِها ... أَم العَلاء جَبين أَصيَد زاهر

قُل يا اِبنَة القَوم الأَلى ما شَأنَهَم ... نَقص الإباء وَلا اِفتِقاد الباتر

---

(1) انظر التجاني يوسف بشير، عصره وحياته وشعره، جاد الله الطاهر النذير، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، مكتبة السودان، (مخطوطة) وهذا بخلاف ما ذهب إليه هندي رياض الذي ذهب إلى أن مولده 1910م انظر هندي رياض، التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا، دار الثقافة بيروت، بدون تاريخ، ص 27

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

فَإذا هَفت بِكَ أَن نعم مِن جانب الفَردوس أَسمعها تَحية شاعر

غُفرانك اللَهُم أَن مُحَمَداً قَصد الورود فَضل بَينَ الصادر!(.)

ثم رزق والده بعد موت ابنته الزهراء بست بنات وثلاثة أولاد ، أما البنات فهن زينب، وهي أصغرُ من محمد ، وأم الحسين، وسارة، وعائشة، وآمنة، وأخيراً وبعد وفاة التجاني: خديجة.وأما الأولاد فهم: أحمد التجاني، المولود سنة: 1912م، ثم محمد التجاني المولود سنة 1914م( ).

ولد التجاني وتربى ونشأ في منزل والده الواقع في حيٍّ من أحياءِ مدينة أم درمان(حي الركابية) ولا تزال أسرته تقطن في هذا الحي، حتى الخلوة التي تُدَرِّسُ القرآنَ مازالت موجودة حتى الآن

كانت هذه الأسرة لا تكاد تجد ما يكفي حاجتها من العيش ، وفي ظل ظروف اقتصادية قاسية ووضع سياسي يرزح تحت سطوة الاستعمار آنذاك، وفي هذه الأجواء المتقشفة ولد التجاني يوسف بشير ، ونشأ نشأة عادية لم يكن فيها ما يميز طفولته أو صباه عن أقرانه، ولم يكن فيها ما يشير إلى عبقرية محتملة أو تميز قريب ومن ناحية ثقافته فقد أُدخِل التجاني الخلوة كبقية أقرانه لحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ، فحفظ القرآن الكريم في الخلوة، خلوة (الفكي) الفقيه بشير حذري وتعلم القراءة والكتابة شأنه في ذلك شأن كل الفقراء بحي الركابية بأم درمان.ولعلَّ ابنَ يوسف صور الكثير عن الخلوة التي كان يرتادها وصور معها اختلاجات نفسه من خلال قصيدة "الخلوة" التي وصف فيها تفاصيل حياة الصبي الذي ينهض متكاسلاً يلعن القدر الذي قطع عليه أيام لهوه ولعبه، ووضَعَهُ تحت رحمة الدرس والحفظ والمسئولية والشيخ الذي لايرحم.ولعلَّ كثيرين يظنون أنَّ التجاني صور نفسه فقط في هذه القصيدة

(1) التجاني يوسف بشير، إشراقة ، مرجع سابق ، ص 92.

(2) جاد الله الطاهر النذير، التجاني يوسف بشير، عصره وحياته وشعره مرجع سابق، ص 71.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ولكنك تجد نفسك وأفكارَ صباك فيها حين كان الذهاب إلى أقسى عقاب يمكن أن تناله في اليوم تجرّ إليه أقدامك جراً، ويصف التجاني هذه اللحظات بقوله [1]

هبَّ من نومه يدغدغُ عيـ ـنيه مُشيحاً بوجهه في الصباح
ساخطاً يلعن السماء وما في الأرض من عالم ومن أشباح
ومشى بارماً يدفع رجلـــيه ويبكي بقلبه الملتاح
ضمخت ثوبه الدواة وروت رأسه من عبـيرها الفياح
ثورة صورت خوافي ما بين حنايا صبينا من رياح
ورمى نظرة إلى شيخه الجبار مستبطناً خفي المناحي
نظرة فسرت منازع عينيه ونمت عما به من جراح
حبذا خلوة الصبى ومرحى بالصبا الغد من ليال وضاح

وهذا تجسيد لحالة التبرم الصبياني من الالتزام بالدراسة والنهوض مبكراً لأداء الواجبات والحفظ، في وقت مازالت ترفرف فيه روح الصبا اللاهية ، وتحن إلى اللعب واللهو والعبث بالجليل من الوجود وبالحقير

وقصيدة الخلوة تمثل سجلاً تاريخيًّاً لطريقة التعليم الديني في السودان آنذاك ولعل قِلَةَ الفهم للدين جعلت الكثيرين يستنكفون عن التعليم الديني عامة والخلوة خاصة، بل يعدونها وسيلة عقاب للأبناء أو للفاشلين في الحياة، والحقيقة أنه لا سعادة ولا حياة حقيقة إلا بالدين ، فالقرآن المصدر الأول للدين وللتدين معاً ، ولا شك أن مشاكل الأمه تكمن في بعدها عن القرآن الكريم.

هكذا مرت مرحلة الصبا بكل بؤسها وصخبها على شاعرنا التجاني يوسف بشير دون أن تبدو عليه أي دلائل لنبوغٍ أو تميُّزٍ، وبعدها انضم التجاني إلى المعهد العلمي بأم درمان كعادة أبناء الفقراء الذين لا يستطيعون الالتحاق بالتعليم المدني أو الأكاديمي في تلك الفترة، والمعهد العلمي يقدم في دراسته العلوم الدينية كالفقه،

(1) التجاني يوسف بشر ، إشراقة ص 73.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الحديث، التوحيد والدراسات الأدبية من لغة وبلاغة وأدب، ولا يوفر العلوم الحديثة مثل الجغرافيا والعلوم والتاريخ وغيرها، والمتوفرة في المدارس الابتدائية الأخرى التي يدخلها المستطيعون من أبناء الأسر الغنية، فيما يقدم المعهد العلمي خدماته مجاناً لذلك تم التحاقه به لمواصلة تعليمه، لذلك لم يكن غريباً أبداً أن يكون نبوغ التجاني وجل اهتمامه منحصراً على الآداب دون العلوم الأخرى

أحب التجاني المعهد العلمي حباً كبيراً من خلال ما وجده من اهتمام من أساتذته، وعلى رأسهم الأستاذ أبو بكر محمد عليم ، والأستاذ حسين منصور ، والأستاذ أبو القاسم أحمد هاشم، وكلهم وضع بصمات واضحة في شخصيته، وكان التجاني يكنُّ لهم احتراماً وتقديراً كبيرين، ولعلهم من شجعوا كتاباته ووضعوه على بداية الطريق، ولم يخلُ التجاني خلال وجوده في المعهد من الأصدقاء، كما لم يسلم من المناوئين له لأن التجاني كان حاداً ومعتداً جداً برأيه ، وخصوصاً في موضوعات الأدب، وكان التجاني مولعاً بالشاعر أحمد شوقي، وكان ذا رأي واضح في كتابات الشاعر حافظ إبراهيم، ولعلَّ أحدَ آرائه في هذا الشأن هو ما عجَّل بفصله من المعهد العلمي.

ولعلَّ أبرز الروايات التي ظهرت في سبب فصله من المعهد هي أن التجاني ذكر في إحدى المناقشات مع زملائه في المقارنة بين شوقي وحافظ أن التجاني قال : إن الفرق بين أشعار شوقي والبقية مثل المقارنة بين القرآن وأي كتاب بشري آخر ( )، ولعل الشاعر خانه التعبير فهو يقصد التعبير السائد كالفرق بين السماء والأرض، فتم تحوير حديثه هذا بقولهم أن التجاني ذكر أن كتابات شوقي أفضل من القرآن الكريم، وهو السبب الذي طرد به التجاني من المعهد العلمي ، والذي كان ضربة قاصمة له ولطموحه. الراجح عندي أنّ التجاني ترك المعهد بنفسه إثر هذه الحادثة، وما تلاها من مضايقات، ومن المضايقات اتهام شاعرنا بالكفر والإلحاد، فقد عبر عن ذلك في قصيدة المعهد العلمي، وهذا أيضاً حرمان مجتمعي؛ بحيث أنّه ظل معزولاً من الناس

(1) عبدالمجيد عابدين، مقدمة ديوان إشراقة، دار الفكر الدارالسودانية، ص5.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لفرط حساسيته لا يتحمل أي نقد خاصة من الزملاء، فالحادثة السابقة راجت في البادي والنادي؛ مما خلق للشاعر الكثير من المشاكل الاجتماعية

اتهام شاعرنا بالكفر والإلحاد ليس عليه دليل، ومسألة التكفير ليست من الأمور السهلة، وهنالك أسباب موانع للكفر فهل يعي هؤلاء المتعجلون ذلك؟

ثم إنَّ التجاني بعد ذلك خرج إلى الحياة العملية ، وبدأها بعمله في شركة سنجر التي ظهرت في مطلع الثلاثينيات، وكانت هذه الماكينات تباع بالأقساط، وكان نساء الأقباط أكثرهن إقبالاً على شراء هذه المكنات، وعندما حدثت الأزمة المالية في ذلك الوقت خفضوا مرتبات العاملين السودانيين وأبقوا على مرتبات الأجانب ، فقاد التجاني تمرداً مع مجموعة من السودانيين احتجاجاً على ما حدث، فتم فصله من سنجر

يبدو أن التجاني معتد بنفسه، صاحب نفس أبية لا تقبل الذل ولو أدى لحرمانه، وهذا ما حدث كما سبق مع المعهد مما خلق له عدم الاستقرار والقلق

ثانياً ثقافته

نهل التجاني من معين الدروس الدينية واللغوية التي تلقاها بالمعهد العلمي بأم درمان يقول في ذلك عرفات محمد عبد الله في مجلة الفجر:

وأملى علىَّ كرف لما سألته عن ثقافة صديقه ما يلي

"كان التجاني أثناء دراسته في المعهد يدمن الاطلاع في الكتب الأدبية والتاريخية، وكتب المتصوفة.ومن أشهر الكتب التي قرأها (الملل والنحل)( ) لأبي

(1) كتاب الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني ، هو كتاب يتحدث عن الطوائف الإسلامية باختلافها والأديان السماوية ويتحدث عن بعض طوائفها ، ويتحدث أيضاً عن الديانات والاعتقادات الوثنية وما قبل الإسلام عند العرب، و الأديان والفلاسفة الرومان، والأديان والاعتقادات لدى حكماء الهند . .و يرها. انظر الشهرستاني، ابو الفتح محمد، بن عبدالك ريم، (اَلمِلَل وَالنِحَل) دارالمعرفة للطباعة والنشر، ب يروت، لبنان انتشار عام ١٩٧٢ للميلادي.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الفتح محمد عبد الكريم أبي بكر أحمد الشهرستاني و(الرسالة القشيرية) [1] لأبي القاسم عبد الكريم هوازن، و(الحِكَم)[2] لابن عطاء الله السكندري

وكان لهذه الكتب وغيرها أثرٌ بعيدٌ في إرهاف حسِّه مما أضفى على أسلوبه ذلك الغموض الذي يبدو هنا وهناك في بعض تعابيره، وخاصة قصائده:(قلب الفيلسوف) و(الله) و(أنبياء الحقيقة) و(الصوفي المعذب)"[3]

المفردات الكبيرة التي تميز بها التجاني جاءت نتيجة لتأثره بالرومانسيين عامة، والمجهريين خاصة، وخاصة جبران خليل جبران الذي له كتاب (النبي) وكتاب (حديقة النبي) وغيرها من المقالات والقصائد التي لا تخلو من هذه المفردات الكبيرة.

لم يقتصر التجاني على دراسة الشعر الجاهلي بل درس الشعر العربي قديمه وحديثه دراسة مستفيضة واعية ، ويتضح ذلك في كثير من مقالاته، وخاصة مقالة(المستوى الشعري للأمم)الذي نشر في مجلة الفجر في العدد السابع (1934/9/1)، و الذي يقول فيه معتزاً وفخوراً بثقافته الأدبية

---

(1) الرسالة القشيرية كتاب في التصوف، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري، القشيري، الشافعي (أبو القاسم، رين الاسلام) (376 465 هـ.) (986 1073 م)صوفي، مفسر، فقيه، اصولي، محدث، متكلم، واعظ، اديب، ناثر، ناظم. انظر كحالة، عمر رضا ،معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت. 6/6.

(2) هي مجموعة من الحكم عددها 264 حكمة وتعرف بالحكم العطائية، كتبها ابن عطاء الله السكندري ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسي بن عطاء الله السكندري، أحد أركَان الطريقة الشاذلية الصوفية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي. ولها الكثير من الشروح انظر الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى 1396هـ) الأعلام، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر - 2002 م 231/1.

(3) انظر عرفات محمد عبد الله مجلة الفجر، ،العدد 7 سبتمبر 1934 ص 293 – 293

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

"ممَّا نحمد عليه الله أن دراستنا للشعر العربي لم تكن من نوع الدراسات التي يتناولها بعضُهم ناقصةً من كتب العصر مبتورة من بين يدي الكتاب، ثم يصدرون عنها وهم أشد قنوعاً و أكثر ثقة في نفوسهم بما فقهوا من صدور الأدب ، واستظهروا من ألوانه، إنما كانت دراستنا له دراسة استقراء وتفهُّمٍ يؤسِّسُها انقطاعُنا إلى قديمه.

أجل ممَّا نحمد عليه الله أن مَهَّـدَ لنا من دراسة الشعر العربي ما يؤهلنا للحكم عليه من أهل الحديث والبحث، ممَّا أثَّـر فيه من عوامل،وعمَّا فيه من مؤثرات في كل ما مرَّ به من أطوار "( ).

وقد اطلع أيضاً على شعر المهجر وعلى الشعر السوري واللبناني الحديث، وما يؤكد ذلك مقاله في المستوى الشعري للأمم حيث يقول: "والأدب السوري أدب كنيسة يتحرق على مجامره الشعراء والكتاب، وتستاف من عطوره نفوسهم الهائمة التي طبعت على الرقة واللين وحب الجمال ، أما المستوى الشعري لهم فهم حيث تركهم جبران، خيال وإفراط ما تكاد تتبين معه إلا متعة الخيال". ( )

مما سبق يتضح لنا ثقافة التجاني الموسوعية التي مكنته أن ينشر ويراسل في كبار الصحف المصرية مثل الرسالة، والبلاغ المصرية، والمقطم.

ثالثاً بداية علاقته بالصحافة

كان التجاني أثناء عمله بـ(سنجر) مراسلاً لبعض الصحف المصرية مثل الرسالة والبلاغ المصرية والمقطم ، ومن الصحف السودانية : مرآة السودان ، والمجلة التجارية بعدها مع سليمان داؤد منديل مُصحِّحاً في المجلة التجارية التي سميت فيما بعد بملتقى النهرين بعدها سطع نجمه ، وبدأ بالظهور ، فعمل مع سليمان كشة ، وصحيفة مرآة السودان، وفى مجلة الفجر مع عرفات محمد عبد الله ، وانتهى به المطاف محرراً في مجلة أم درمان لمحمد عبد الرحيم صاحب كتاب نفثات اليراع، ومن الأشياء التي تستحق الذكر أنَّ مجلة أم درمان كانت تقوم على أكتافه ، وكان مسئولاً عن

(1) انظر عرفات محمد عبد الله مجلة الفجر، ،العدد 7 سبتمبر 1934 ص 293 – 293

(2) انظر عرفات محمد عبد الله مجلة الفجر ، العدد 6 ، ص 245

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تحريرها، وكان عندما يجد نقصاً في مواد المجلة يعمل على تكملته بمواد من إعداده مستعيراً لها الأسماء

كذلك نجده قد نشر في مجلة الفجر العديد من المواد وبأسماء مختلفة أيضاً ، وه ذا من الأسباب التي ضيعت الكثير من شعره ، إلى جانب ذلك نجده قد نشر مقالات في النقد من أشهرها مقال بين الشاعر والناقد ، ويذكر أنه أيام مراسلته للصحف بالخارج أنَّ أحد أعضاء البرلمان المصري واسمه محمود جلال كتب في الصحف المصرية أنَّه يجب أن نتجه للسودان ، وأن يحدث دمج بين السودان ومصر ، وأن تكون هنالك وحدة، فما كان من التجانى إلا أن رد عليه في نفس المجلة في مقال اسماه الوحدة الأدبية بين مصر والسودان موضحاً فيه أنه إذا كانت هنالك وحدة بين مصر والسودان فإنها يجب أن تكون في الأدب وقد أعجب ذلك المقال محمود جلال إعجاباً شديداً( ).

(1) http://apap.ahlamontada.com/t2363-topic

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث

ظاهرتاالفقر والحرمان عند التجاني يوسف البشير

قبل الحديث عن ظاهرة الفقر عند التجاني لا بد من تعريف الفقر في اللغة والاصطلاح

الفقر في اللغة معناه الحاجة، وهو ضد الغنى[1].

وأما الفقر في الاصطلاح:عبارة عن فقد ما يحتاج إليه،أمَّا فقدُ ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقراً[2].

وقد كان شاعرنا الـ اتي دون أدنى شك – يفتقـد أدنى مقومات الحياة، وإن كان هذا يعاني منه معظم شعراء وأدباء العشرينيات من القرن الماضي في السودان نسبة لظروف الاستعمار، وسوء الاحوال الاجتماعية

هذا المبحث يعكس لنا تماماً حالة المجتمع السوداني في العشرينيات ممثلة في شخصية شاعرنا،وهذا مرده إلى ما ينتهج من سياسات استعمارية أدَّت إلى قوقعة الشعب السوداني في غياهب الفقر والضنك والشدة والمعاناة.فقد ذكر عنه الأستاذ هنري رياض ما يلي:(فقد كان التجاني فقيراً ، وعاش كملايين المواطنين عيشةَ ضنكٍ لا يجد فيها غير الكفاف وإشباع الضروريات، وإن شئت فقل بعض الضروريًات)

وقد كان لهذا الفقر أثرٌ واضحٌ في شعر التجاني، فكان يضيق تارة بهذا الفقرِ وتارة يفلسِفُهُ ويفخرُ به ويشيد بعظمته، ويشن حملات عنيفة على الثراء والأثرياء.

والناقد يلاحظ أنَّ القصائد التي يمتدح فيها الفقر أكبر بدرجة ملفتة من القصائد التي يضيق به فيها، بل لا تكاد تجد قصيدة يتبرّم فيها من الفقر صراحة إلا قصيدة (ثورة) وأبيات موزعة هنا وهناك

---

(1) ابن منظور لسان العرب دار الحديث 2003م 140/9

(2) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري الناشر دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، 1400هـ ج1 ص216

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ففي قصيدة (ثورة) نجده قد ضاق ذرعاً بالفقر وهاج وماج ، وهدد بمغادرة البلاد بعد أن أنحى عليها باللائمة ورآها أضيق من رزقه مجالاً، وذلك حيث يقول

يا بلادي و أنت أضيق من رزقي مجـالاً ودون أخرات أذني

حسب قلبي من الأذى ما ألاقي ملء جنبيَّ من كلال و أين

لماذا الضيق ذرعاً بالفقر ألم يعلم أن

الرزق والحرمان مجراهما بما قضى الله وما قدارا[1]

وهو في هذا الامر ليس مبتدعا فهو لم يزد على التهديد بترك الوطن الذي لم يجد فيه ما يريد ، في الوقت الذي ترك فيه قبله وبعده كثير من الشعراء أوطانهم بحثاً عن عيش أفضل، فهذا الشاعر مسعود سماحة أحد شعراء المهجر يقول [2]

سَأَتْرُكُ أرضَ الجُدُودِ فَفِيهَا حَيَاةَ الْجَبَانِ وَمَوْتَ الْجَرِي

سَأَضْرِبُ في الأرضِ لاَ خَائِفاً مِنَ البَرِّ أَوْ لُجَجَ الأَبْحُـــرِ

وَأَنْزِل في بَلَـــــــدٍ دُونَـــهُ سُمُوَ الْمَجَـــرَّةِ والْمُشْتَري

يَرِفُّ الْهَنَـــــاءُ عَلَى تُربـــهِ وَيَجْرِي الرَّخَاءُ مَعَ الأَنْهُـرِ

سَلاَمٌ عَلَى أرضِ كُولُومبُسٍ سَلاَمٌ على رَبْعِهَا الأَزهَـــرِ

وكغيره من الناس كان شاعرنا التجاني يود لو عاد إلى الصبا حيث لا رهق و لا تشاؤم ، بل طمأنينة يلهو في ظلها بالطين ، فيسويه تماثيل ويبني الحياة ويهدمها ، ويحوطه الحنان الأبوي فيسأله ما الذي تفعله، فيجيب في سذاجة

(1) أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي المتوفى سنة 338ه ، ديوان أبي نواس ، علي الجارم مصطفى أمين، البلاغة الواضحة بيروت لبنان، ص240.

( ) ديوان مسعود سماحة ، مطبعة جزيرة السمير ، بروكلين نيويورك ، 1938م ، ص 47

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

إنها ثورة الشباب لم أجد كالشباب ... يبسا مراعيه ولا كالصبا أعز لعيني [1]

يفرح الطين في يديَّ فألهو ... جاهداً أهدم الحياة وأبني

كم أشيد الحصا قصوراً ... وكم أكبر من شأنها و أقدر شأني

وطني في الصبا الدما والتما ... ثيل و نفسي ومن أحب وخدني

قل لهذا الصبي ماذا يكفيك ... إذ لم تكن ألاعيب جن ؟

هذه يا أبي تصاوير مات ... برح دنياي أو تزايل كوني

الشاعر هنا قد سلك في فلسفة الفقر أساليب مختلفة ففي قصيدة (هوًى وفقر) يتساءل عن هذا الذي يسمونه ذهباً وفضةً ويتفاخرون به واهمين أنَّه القيمة الحقيقية للإنسان وما هو إلا معدنٌ مقيدٌ أساسُه الترابُ

ويقرِّرُ في قصيدته(دنياي) أنَّه فوق الغنى والفقر معاً ، وأنه يغني بدنيا الفن والفكر وهي أسمى من الفقر ، وأنه تنازل لهم عن هذا الحطام الذي لا ينطوي على شيء ، وإذا كان المال في نظرهم أداة للسعادة فأنا أغنى في دنياي هذه ، ولم أغنَ على شيء في يومٍ من الأيام لأني لا أريد ه ، بل لأني لم أفكر يوماً في غنًى ولا فقرٍ ، لأنَّ هذا مما يشغل أصحاب الهمم القاصرة والأهداف.القريبة

دنياي وهي من الدنيا على نفس أثرى من التبر أو أسمى من المال

ولا غنيت وما أبغي ولا رغبت دنياي في وفرة منها ولا إقلال [2]

وفي قصيدته(لب من ذهب) يقارن بين قلب ثريّ يلمع بالذهب ، وبين قلبه الفقير فيرمي قلب الذهب بالتبلد والسطحية والقصور من إدراكه معاني الحياة في مجالاتها

(1) اشراقة ص 66 67

(2) التجاني يوسف بشير ديوان اشراقة ص : 101.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

العليا، على حين يضفي على قلب الفقير أرق ى صفات الإنسان الممتاز، فه و لب ينبع بالحب ويدركه الجمال ويستوعب الحياة عامرةً بالفنون والوحي والإلهام[1].

لك قلب من النضار وفي صد رك جنات ودنيا قصور ه

و يجني خاف ـــق من تـــراب ليس من تبره ولا من صخوره

يطفح الوجد والجمال بدنياه ويغلي الحماس في تام ـــــوره

لي في الفجر أربة فوق ما تطلبه أنت من ط ـــافح نوره

لي دنيا الفنون والوحي والإل هام من صدقه ومن مسحور ه

أينا لو عدلت يكتنز العا ل في صدره و في تفكيره ( )؟

وفي قصيدة(قلب الفيلسوف) يختار الفيلسوف فقيراً بسيطاً في ملب سه، أما مسكنُهُ فكوخٌ متواضعٌ لكنه في معناه مرتفع إلى مدًى لا يستطيع الثري صاحب القصور الشامخة أن يطمع فيه.

أما ملبسه فهو لا يكاد يستر جسمه الناحل مما عليه من فروق ، ولكنه مع ذلك يحمل في قلبه أضخم الأسرار ، وفي فكره أضخم الحقائق الفلسفية ، وإنَّ في عينيه الساهمتين قوةً كشفيةً جبارةً تنفض أقصى العالم ؛حسب فهم الشاعر ، ويقول في ذلك[2]:

مغداك في حجر الآباد م غداه وفوق دنياك في الأيام دنياه

ودون مغناك من أبهاء شامخة كوخ (النبي) وفي غلواء مغناه

(1) عبد الله البشير وآخرون ، دراسات في شعر التجاني ص 61و ما يليها.

(2) التيجاني يوسف بشير إشراقة ص 65.

(3) المصدر السابق ص 16.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أطل من جبل الأحقاب محتملا سفر الحياة على مكدود سيماه

عاري المناكب في أعطافه خلق من العطاف غدى إلا بقياه

منبأ من سماء الفكر ممسكة على الرسالة يمناه ويسراه

أوفي الأرض مأخوذاًوطا ف به مشرد النفس لا مالٌ ولا جاهُ

يرمي سواهم أنظار منفضة أقصى العوالم من عينيك عينا ه

وتلك شمائل لا يطمع فيها المشغوفون بالثراء الثراء قد يشغل صاحبه؛ عن كثير إذا لم يوجه توجيهاً سليماً.

وهذه المقارنة القاسية بين الغني والفقير في هذه القصيدة أرضت روح التجاني ، وخففت من آلامه كثيراًلأنهاأعطتالثري المال وحرمته الأمجاد العقلية الكبرى، وحرمت الفقير المال وأعطته هذا المجد الفكري.وهكذا وجد التجاني تبريراً لفقره، وقد ساعد هذا التبرير على زيادة ثقافته الدينية ونفسه الأبية.

ولقد كان هذا التبريرأوهذه الفلسفة نعمة على التجاني وعلى فنه، صانته من الابتذال وحفظت هذه النعمة ماء وجهه، فلم يسخر شعره في خدمة سلطان،بل ظل يم ح طلباً لآفاق الحقيقة حراً طليقاً شريفاً .

تأثر التجاني بقراءته الفلسفية:

تأثر التجاني بأستاذه الفيلسوف أبو العلا ء المعرّي ، و خاصة في رفض العروش والجاه، حيث يقول

أُنَبِّئُكُمْ أنّي على العهدِ سالمٌ ووجهيَ لَمَّا يُبْتَذَلْ بسُوَالِ ( )

إنه وحده الذي يقول كلمة الحق في عصر أُخرست فيه السيوف والضمائر ، و د أبى عليه ضميره أن يكون في أمته شيطاناً أخرس، يقول

(1) http://www.iraqicp.com/index.php/sections/litera.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

فَمَا لي لا أقولُ، ولـي لسانٌ وقَدْ نَطَقَ الزمانُ بلا لِسانِ

وبيعتْ بالفلوسِ لكُلِّ خَزْيٍ وُجُوهٌ كالدنانيرِ الحِسانِ ( )

وأما الأدباء، فقد كانت غاية البعض من أدبهم الحصول على الثروة والشهرة ذائعةالصّيت، وفي ذلك يوجّه المعري نقده التقويمي لأدباء عصره قائلاً

وما أدَّبَ الأقوامَ في كلّ بَلْدةٍ إلى المَيْنِ ، إلاّ مَعْشَرٌ أُدبَاءُ( )

فصناعتهم مذمومة تجلب الفقر والهوان ، برغم ما يبذله الأديب من ذل ومهانة في تسويقه وترويجه بضائعه الأدبية في أسواق الملوك والأغنياء . ولعل ما وضعه أبو العلاء على لسان إبليس حين التقى بأديب حلبيٍّ خيرُ دليل على فقر حال الأديب وهوانه "يقول إبليس مَنْ الرجل؟

فيقول أنا فلانٌ بنُ فلان (عليٌ بنُ منصورٍ الملقبُ بابنِ القارح) من أهلِ حلب كانت صناعتي الأدب أتقربُ به إلى الملوك ، فيقول إبليسُ بئس الصناعةُ إنها تَهب غُفَّةً من العلم ( )، ولم يكن التجاني وحده هو الذي ضاق بالأزمة المالية والقيود الاستعمارية، بل كثير من أدباء الأربعين يات ضاقوا بالفقر ضيقاً شديداً، ولعنوا الحرمان لعنات تمثلت شعراً ونثراً بالنسبة لمن التحقوا بالوظائف الحكومية أومن عملوا بالصحافة

أجل لم يكن التجاني وحده الذي ضاق بالفقر بل إنَّ فصله من المعهد قذف به إلىمعترك الحياة دون مؤهل علمي أوفني ، ولم يكن يجيد عملاً يدوياً يسترزق منه ، ولذلك لابد لنا من التساؤل ما العمل الذي التحق به التجاني ؟ وكم كان يتقاضى في الأسبوع؟ وهو أ كبر شعراء السودان طبقة

التحق التجاني بالعمل في الجريدة التجارية وكان مصحِّحاً بها، والتجاني بعمله في ملتقى النيلين ربما تقاضى أجراً أسبوعياً لا يتجاوز خمسين قرشاً ، والتجاني لا

(1) http://www.iraqicp.com/index.php/sections/litera.

(2) ابوالعلاء العري اللزوميات دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الجزءالأول ص 36 .

(3) التجاني يوسف شاعراً وناثراً بشير دراسات في شعر التجاني – صفحة 48 وما يليها.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يتقاضى أجراً في أول الأمر إلا أجراً رمزياً على جهده في التصحيح في المجلة التجارية، لم يستمر بالعمل في ملتقى النهرين، لأنه التحق بشركة سنجر للعمل فيها ، وكان يتقاضى أجراً أسبوعياً أربعين قرشاً

ثم التحق بجريدة النيل عام 1935 في وظيفة مصحح بأجر أسبوعي لا يتجاوز خمسين قرشاً لكنه لم يستمر كثيراً في وظيفته الأخيرة[1].

ثم التحق في منتصف سبتمبر 1936م-بمجلة أم درمان التي أصدرها المؤرخ محمد عبد الرحيم وعُيِّنَ التجاني محرراً لها، لكن لم يقم التجاني إلا بتحرير ستة أعداد فحسب، ولعل مما حزَّ في نفس شاعرنا أن يكتب صاحب الجريدة في العدد السابع ما يلي:(مدير هذه المجلة يعلن إقالة حضرات التجاني يوسف بشير المحرر بها و إلخ)

وهو الذي كتب في صدر العدد يصفه بأنه شاعرٌ وكاتبٌ طائرُ الصيدِ

ويبدو أن إقالته من المجلة قد أثرت فيه كما أثر فيه فصله من المعهد ، وكذلك تأثير المرض عليه الأمر الذي جعله يضيق ذرعاً بالحياة

نتيجة لما عاناه الشاعر في حياته استشعر بعالم من الفوارق بينه(كرجل فقير)وبين أبناء الطبقة الموسرة، لكنَّه لم يذكرأسرة بعينيها ولاشخص بعينه.

صرخ التجاني من الفقر في قصيدته(ثورة)صرخة قوية ثائرة،تعبر عن عدم رضاه بوضعه الاقتصادي، ولا بواقع الاقتصاد في بلاده، يقول

إنها ثورة الحياة فمن للكون يحميه من قذائف رعنِ

إنها ثورة الشباب لم أجد كالشباب يبساً مراعيه ولا

كالصبا أعزّ لعيني

يا بلادي وأنت أضيق منرزقي مجالاً ودون اخرات أذني

حسب قلبي من الأسر ما ألاقي ملء جنبيّ من كلال وأينِ

(1) التجاني يوسف شاعراً وناثراً بشير دراسات في شعر التجاني – صفحة 48 وما يليها

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وبح سبي من حاج ة عوز يد فع نفسي إلى فرق وبينِ [1]

ما سبق من المعاناة بدء بالحرمان والفقر في الأسرة والفصل من المعهد العلمي وعدم وجود عمل مستقر وفوق مشاكله النفسية والحساسية المفرطة كل هذا تسبب بإيجاد مشاكل للشاعر تجلى ذلك في شعره،ولانبالغ إذا قلنا إنَّ التجاني قد ضاق بفقره، وسوء حاله حين كان يبلغ به اليأس في بعض الأحيان مبلغاً عظيماً كاد يدفعه إلى التشاؤم العميق، والإحساس بالضياع في الحياة في اعتقادي هذا شأن معظم شعراء العشرينات بيد أنَّ التجاني قد زادت معاناته حتى بلغ ذروة الألم. ورغم فقر شاعرنا إلاأنَّه كان عفيف النفس لايرضى الذلة أوالخ ضوع ، بل لم يطلب إحساناً من أحد

ولا نبالغ إذا قلنا أن شعر التجاني كان مرآ ةً لفقره بل فقرنا. كما يقول الأستاذ عبدالله الشيخ البشير في بحثه (ثلاث قضايا في شعر التجاني)[2]

ولقد عقب الناقد صلاح أحمد إبراهيم على قصيدة التجاني (دنيا الفقير) تعقيباً عميقاً بسيطاً إذ قال في بحثه (الجرح والقوس) وهل هذه صورة الفقير السوداني، أو قل صورة السوداني (أنا وأنت وجاري وجارك) وعلى هذا فإنه رغم اتفاقنا مع النقاد على أثر الفقر على شعر التجاني إلا أننا نؤكد دائماً أنَّ حرمان التجاني - أي فقره- كان هو المصدر الأول لقلقه ، وأن الثقافة التي تحت تفكيره ساهمت إلى حد كبير في انتقال نيران قلقه.[3]

وقد يكون لكل من الأسباب المذكورة أثر مماثل للآخر لكن وإن كنت الناقد في تشابك الأسباب وتعقيدها إلا أنني أرجح العامل الاقتصادي كسبب من أسباب قلق

(1) اشراقة ص 66 – 67

(2) دراسات في شعر التجاني ص 44)

(3) دراسات في شعر التجاني ص 44)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

التجاني، ذلك لأنَّ سبب قلقه قد لازمه حتى في شعر الطبيعة والحب، و أنه هو الذي يتردد في الإيمان بالحياة وشك فيها، وبين الإيمان بالله وشك فيما وراء الطبيعة

ظاهرة الحرمان

المحروم في لغة العرب هو الممنوع من الخير ، المحروم الذي حرم الخير حرماناً، وقيل المحروم الذي لا ينمي له مال ، وقيل أيضاً إنه المحارف الذي لا يكاد يكتسب[1].

المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه، أو يعطيه شيئاً[2]

عاش التجاني كملايين المواطنين عيشة ضنك لا يجد غير الكفاف وإشباع بعض الضروريات، فوالده يوسف بشير صانع أحذية بسوق أم درمان ، وكان يكسب عيشه بشق الأنفس وألحق التجاني بالمعهد العلمي لأن الدراسة فيه بدون مقابل

كان التجاني يقيم مع والده في منزل من الطين مكون من عدة غرف ولم يكن بمنزل والده مواسير للمياه ولعلها لم تتصل بمنزله إلا بعد أن عمَّ انتشارُها عام 1932م تقريباً، وكذلك لم يكن به تيار للنور الكهربائي، فكان لكي يواصل التجاني ليلاً قراءته يجلس وضوء لمبةٍ صغيرة بجانبه وقيل بأنه طالما واصل القراءة حتى فرغ غاز اللمبة ليترك دخانها القائم أثراً على جبهته، واستشعر التجاني وهو بالمعهد بأنَّ عائلته بحاجة إلى معونته المالية ، ولذلك التحق بالجريدة التجارية عام 1931م ليعمل مصححاً بها، تلك التي أصدرها المرحوم سليمان داود منذ صدور العدد رقم 160 بتاريخ 1931/3/3م[3].

---

(1) ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى ، مادة حرم.

(2) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت 310 ه). ، جامع البيان في تأويل القرآن ،ت أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ 2000 م

(3) التجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا ، هنري رياض ص 47.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

كان العمل بالجريدة التجارية وملتقى النهرين يوجب عليه الحضور إلى الخرطوم في الصباح الباكر على ألا يعود إلا بعد الثالثة ظهراً

ثمة تحدٍ نشب بين الشاعر والفقر أثمر ثقافة ظاهرة المعالم، واضحة الآثار على نتاج التجاني الفكري، خصوصاً إ ثْرَ فصله من المعهد العلمي ، وكان أولى اللطمات التي تلقاها فأرهق عمره ليثبت أفضليته ، وكان فصله عام 1933 م ولم يجد بُد اً من الالتحاق بعمل يرتزق منه،وقد قاسى التجاني في تلك الفترة مرارة الحرمان من الثقافة وهو حرمان يماثل الحرمان من العمل الذي رغب فيه ، كتب التجاني وهو على مقاعد الدراسة في المعهد العلمي الكثير من القصائد التي أبرزت شخصيته الإبداعية بشكل واضح دلت على منابع الإلهام لديه، كما أنها كانت تعبر عن التمرد المجتمعي الذي بدأ يتصاعد في نفسه الحزينة ، وطنه ومواطنه تحت وطأ ة الاستعمار البريطاني من جهة واستعمار المرض والجهل والتخلف من جهة أخرى

ونجد في قصيدة المعهد العلمي - كما رويت - لإجرائه مقارنه زَكَّى فيها أشعار شوقي على أشعار حافظ إبراهيم مشبهاً التفاوت بسمو القرآن الكريم على يره من سائر الكتب، فتم تحوير حديثه هذا بقولهم أن التجاني ذكر أن كتابات شوقي أفضل من القرآن الكريم، وهو السبب الذي طرد به التجاني من المعهد العلمي ، والذي كان ضربة قاصمة لطموحه ، وهي ما دفعته ليكتب قصيدته (المعهد العلمي) والتي سكب فيها كل وجعه على ما حدث هناك حيث يقول :( )

السحر فيك وفيك من أسبابه دعة المدلِّ بعبقري شبابه

يا معهدي ومحط عهد صباي من دار تطرق عن شباب نابه

قسم البقاء إليك في أقداره من شاد مجدك في قديم كتابه

وأفاض فيك من الهدى آياته ومن الهوى والسحر ملء نصابه

(1) التجاني اشراقة ص 7.7

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لما ترك التجاني من المعهد العلمي حاول إغراء والده ليسمح له بالسفر إلى مصر لإكمال تعليمه بالأزهر ، ولما رفض والده طلبه أعد عدته للسفر وذهب إلى محطة السكة الحديد بالخرطوم ، ولكن ترامى خبر سفره لوالده فأسرعإليه وأجبره على العودة معه، وما كان أشق على التجاني من تلك اللحظة ، فعاد أدراجه كليماً حسيراً ، واستشعر التجاني بألم عميق، وعبر عنه شعراً يقطر أسًى و يصور لوعته وحرقته وآماله التي تحطمت قبل أن تحلق في أبعادها الرحبة فيقول في قصيدته(أمل)[1]:

أمل ميت على النفس الحدث ... له من كلاءة اللّه قبرا

زهقت روحه وفاضت شعاعاً ... قبل ما ينفذ الطفولة عمرا

كنت أحيا على ندى منه يساقط ... برداً على يدي وعطرا

ثم أودى يا ويحه ضاقت الدنيا ... به جهدها احتمالاً وصبرا

أملي في الزمان مصر فحيا اللّه ... مستودع الثقافة مصرا

نضر اللّه وجهها فهي ما تزداد ... إلا بعداً علىَّ وعسرا

وقف الفقر عائقاً لأمنية الذهاب إلى مصر التي ظلت حلماً يراوده حتى نهاية عمره،و في أشعاره نجد أكبر صرخ ة، وأبلغ وجعة في حرمانه من الوصول إلى مصر التي كان يراها وسيلة لتحقيق غاية كبيرة لأنها مناهل للفكرومستودع الثقافة يستقي من فيوضها ويفيء إلى ظلال معرفتها ، فهو يحيها ويحملها مسؤولية الثقافة والعلم واللغة، وبهذه الأبيات الحزينة ودع الشاعر أمنيته في الذهاب إلى مصر و أمله في الحرية و الانفتاح، و عاد إلى عزلةٍ صاحب فيها كتابه ولازمه فترة من الزمن

(1) ديوان اشراقة ، ص 54

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وافتقد التجاني وسائل الراحة والرفاهية في المنزل وحقه في مواصلة تعليمه في بلده، وحرمانه من الوصول إلى مصر بدافع الثقافة ، والهروب من الرتابة ولحنينٍ ألم به من خلال التقائه مصر ثقافياً عبر التاريخ ،إلا أن فقره المدقع و ملاحقة والده له تركاه يبرح محطة القطار فآب كسير البال يجر آماله الذابلة

عادني اليوم من حديثك يا مصر رؤيا وطوفت بي ذكرى ( )

وهفا باسمك الفؤاد ولجت بسمات على الخاطر سكرى

ك لها أذكروا ثقافة مصر كنت من صنعها يراعاً وفكرا

كل ما في الورى عدا العلم لا يكبر شعباً ولا يمجد قطرا

لم يكن التجاني وحده، هو الذى ضاق بالأزمة المالية، والقيود الاستعمارية، بل إن كثيراً من أدباء الاربعينات ضاقوا بالفقر ضيقا شديداً، ولعنوا الحرمان لعنات تمثلت شعراً ونثراً سواء بالنسبة لمن التحقوا بالوظائف الحكومية أو من عملوا بالصحافة( ).

(1) اشراقة ص : 116 – 118

(2) التجاني يوسف بشير شاعر وناثر ، هنري رياض ، ص : 48

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد تمّ هذا البحث بعون الله تعالى بعنوان ظاهرة الفقر في شعر التجاني يوسف البشير. ويشير الباحث هنا إلى أهم النتائج والتوصيات والمقترحاتالتي توصل إليها

أ -النتائج:

- **أولاً** حياة التجاني المضطربة القلقة تمثل نموذجاً حياً للمجتمع السوداني في العشرينات
- **ثانياً** :رغم أن شاعرنا عاش مدة قصيرة إلا أنه استطاع أن يحدث تغييراً كبيراً في الشعرالسوداني ولهذاناللقب رائد التجديد
- **ثالثاً** شاعرنا لم يفصل من المعهد وإنَّما تركه من تلقاء نفسه وهذا خلافُ ما ذكره كثير من الكتاب أمثال هنري رياض، بدر الدين هاشم أبو القاسم
- **رابعاً** : اتهام شاعرنا بالكفر والإلحاد ومسألة التكفير ليست من الأمور السهلة، و هنالك أسباب و موانع للكفر فهل يعي هؤلاء المتعجلون ذلك ؟
- **خامساً** :قصيدة الخلوة تمثل سجلاً تاريخياً لطريقة التعليم الديني في السودان
- **سادساً** ظاهرتا الفقر والحرمان لهما الأثر الكبير في حياته وشاعريته.
- **سابعاً** عانى التيجاني أنواعاً متعددة من الحرمان منها الحرمان المالي والثقافي من السفر إلى مصر وربما الحرمان العاطفي من جانب المرأة

و لا نبالغ اذا قلنا أن شعر التجاني كان مرآ ة لفقره بل فقرنا جميعاً وخاصة في الوقت الحاضر.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ب - المقترحات والتوصيات :

البحث في شعر التجاني طريف ومتعدد المناحي والجوانب ، وبرغم ما كتب في شعر التجاني في جوانبه المختلفة إلا أن هناك جوانب أخرى يمكن أن يفرد لها الدراسة مثل التصوير الفني ، والرومانسية في شعره ، وكالظواهر الدينية والاجتماعية والوطنية والشك

- فنوصي الباحثين أن يدلوا بدلوهم في هذين الجانبين بعناية خاصة لكثرة ورودهما في ديوان شاعرنا

أقول كما قال القاضي الفاضل البيساني(ت 596ه) فيما كتبه لمعاصره العماد الأصفهاني (إني رأيت أنه لا يكتب إنساناً كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذ ا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)

ما أرانا نقولُ إلا مُعاراً أو مُعاداً من لفظنا مَكرورا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيدنا محمد الأمين صلى الله عليه وسلم.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المصادر والمراجع

1. ابن منظور لسان العرب، دارالحديث 2003م 140/9
2. بكري بشير الكتيّابيّ التجاني يوسف بشير السفر الاول،الآثار النثرية الكاملة جمعه وأعده للنشر، تقديم وحواشي الدكتور محمد عبدالحي، شركة مطابع رأى (ليمتد) 1978 م،الطبعة الأولى 1978م
3. التجاني يوسف بشير، إشراقة دار الجيل بيروت - لبنان، ط 8 1407ه ، 1987م
4. جاد الله الطاهر النذير- التجاني يوسف بشير، عصره وحياته وشعره، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، مكتبة السودان، (مخطوطة).
5. حسن نجيلة ملامح من المجتمع السوداني الطبعة الرابعة الدار السودانية للكتب
6. الدراسات الأدبية والنقدية المرحلة الثانوية للصف الثالث جمهورية السودان ط/1 1992م- 1993م.
7. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى 1396هـ) الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر 2002 م 231/1.
8. سماحة، مسعود، ديوان مسعود سماحة، مطبعة جزيرة السمير، بروكلين نيويورك، 1938م ، ص 47 .
9. الشهرستاني، ابو الفتح محمد، بن عبدال ك ريم، (اَلمِلَل وَالنِحَل) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان انتشار عام١٩٧٢م،
10. عبد الله البشير وآخرون دراسات في شعر التجاني
11. عبدالمجيد عابدين، التجاني شاعر الجمال ، تأليف دار الفكر الدار السودانية، الطبعة الأولى 1951م

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

12. عبد الهادي الصديق ، أصول الشعرالسوداني دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الثانية ، أكتوبر 1989م .
13. علي بن محمد بن علي الجرجاني التعريفات قيق إبراهيم الأبياري الناشر دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، 140 . ج1
14. كحالة، عمر رضا ،معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت 6/6.
15. محمد المكي إبراهيم، الفكر السوداني، أصوله وتطوره، إدارة النشر الثقافي، مصلحة الثقافة والإعلام، الخرطوم، ط/1 197
16. محمد عبد الله سليمان الصديق، الصورة الفتية في شعر التجاني يوسف بشير (دراسة أدبية) جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 2008م
17. هنري رياض، التجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا، دار الثقافة، بيروت لبنان، بدون تاريخ
18. apap.ahlamontada.com/t2363-topic.-6Http/ /

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com